

## أحمد زكي

١٨٩٤ - ١٩٧٥ م

### الدكتور عدنان الخطيب

خسر مجعاً اللغة العربية في دمشق والقاهرة واحداً من أبرز أعلامها  
المنافحين عن الفصحى ، المناضلين في سبيل لغة عربية سليمة تفي بمجالات  
العصر الذي نعيش فيه .

كان أحمد زكي واحداً من جيل العمالقة في الوطن العربي سبقه  
أكثرهم إلى دار الخلود ، ولم يبق على العهد إلا قليل يذودون عن الضاد ،  
ويقفون لأعدائها بالمرصاد بعد أن كثر عددهم ، وتعددت جبهاتهم ، وأقام  
بعضهم داخل حصون اغتالوها .

كان أحمد زكي العالم الحق الذي يفرض على الناس احترام العلم .  
وكان المفكر الجبار الذي يحمل قارته على التحليق معه إلى باسق الأجواء .  
كما كان أديباً من طراز رفيع ، استطاع أن يدون علمه وأفكاره بلغة صحيحة  
سهلة أحبها الناس فأحبوا الأدب والعلم ، واحترموا العالم الأديب .

قصّ أحمد زكي على المثقفين « قصة المكروب » فعرفوا ما كان  
من واجبه ألا يجهلوه . وروى لهم سير كثير من العلماء في كتابه

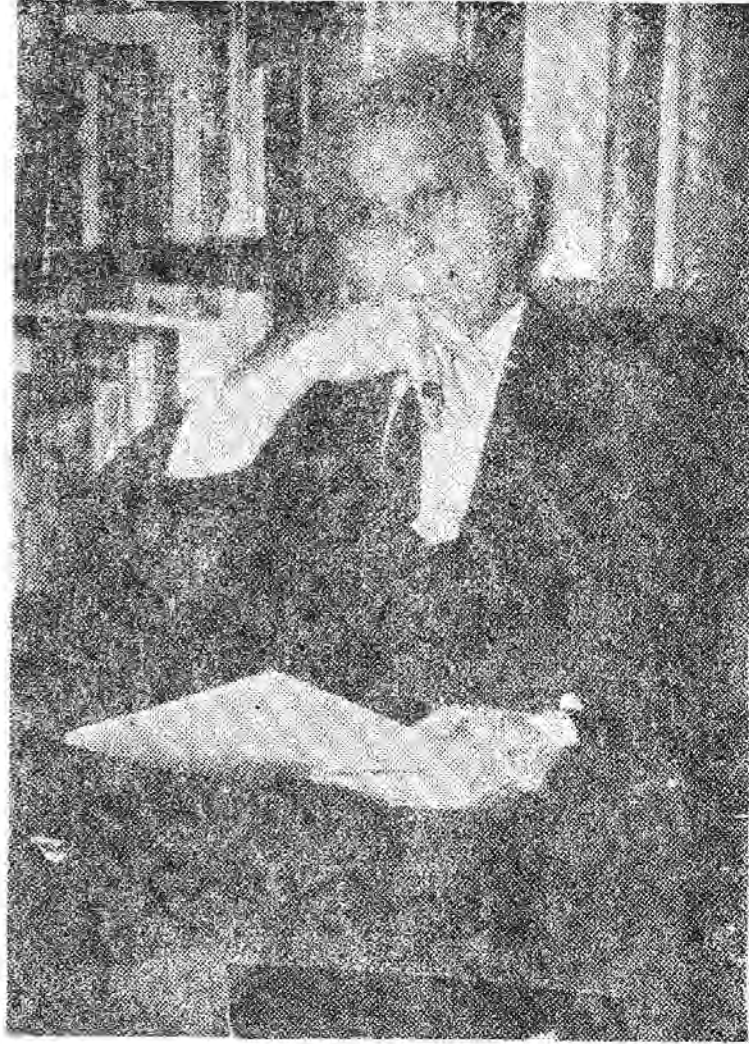
« قصة الكيمياء » . وقصة الكيمياء عرفها قليل العلم بالكيمياء وكثيره ، ووجد كل واحد من هؤلاء فيما كتبه أحمد زكي نصيباً من نفع ومن متعة ، و « كل من يُدبّ اليوم على الأرض من ذوي العقول يطلب ثقافة ، فهذا عصر الثقافة والتثقف ، وقيمة المرء بقدر ما يكسب منها ، وليس كثافة تنير لك سبيلاً أنت سالكه من الحياة » .

خلق أحمد زكي وخلقت معه ، كما يقول عن نفسه « نفس حساسة سألة .. بدأت تحسّ على صغر ، قبل أن تأتي الناس عادة الإحساس ، وبدأت تسأل على نعومة ظفر ، قبل أن تأتي الناس عادة التسأل . تريد دائماً أن تعرف ماذا؟ .. وكثيراً ما لا تجد عما تسأل سبباً . وتريد دائماً أن تعرف كيف؟ .. ولما تجد الذي تسأل عنه كيفاً ، وتود ملاحظة أن تعلم ، وهي تعلم الكثير . وتغربل ما تعلم ، فينفصل حبّه عن طينه ، ولكن ما أكثر الطين ، وتزيد الذي تعلم غربة ، وتزيد ، حتى ما يكاد أن يكون للحبّ وجود .. » .

وتعلم أحمد زكي ما وسعه أن يتعلم ، وازدادت معارفه وتنوعت ثقافته ، فلما اشتد ساعده ، أخذ يبد طلاب المعرفة مصعدين « مع الله في السماء » حيث أراهم ما عرفه من بدائعها ، وجعلهم يدركون بعض أسرار الكون مما يحمل على الإيمان بصنع الخالق العظيم .

وتقدمت السن بأحمد زكي ولكن حبه لنشر المعرفة والدعوة للإيمان لم تحب شعلته . فرفعها لتنير دروب المعرفة أمام مئات الألوف من طلاب العلم والثقافة العامة ، وأمشاهم « مع الله في الأرض » ليثبت لهم بأن « وحدة الله تترأى في وحدة خلقه » وليجعلهم يؤمنون بأن « قدرة





فقيه العربية الكبير  
الدكتور أحمد زكي  
عضو مجمع اللغة العربية

الله تترأى في بديع صنعه .

دانت العربية لأحمد زكي فكتب بأسهل الألفاظ وأوضح التراكيب  
أصعب الموضوعات العلمية وأعقدها ، فكان رائعاً فيما كتب ، مجلياً فيما  
وصف وشرح وكان مما كتبه بلغة سهلة مشرقة الأثر الخالد « في  
سبيل موسوعة علمية » مبسطة .

كان أحمد زكي مجعياً بارزاً ، إذا جلس ملاً مقعده ، وأصبح قبله  
أنظار زملائه في كل ما يتصل بالعلوم والمصطلحات العلمية .

كان أحمد زكي ضخماً الجثة ، قوي البنية ، عصبي المزاج ، جهوري الصوت ،  
عنيفاً في الدفاع عن الحق الذي تراءى له ، ومع كل هذا ، كانت أخلاق العلماء  
تتملكه إذ يعود إلى ابتسامته ووداعته بمجرد انتهاء الحوار ، كما يعود  
إلى الحق إذا ما استبان له معترداً عن أي رأي له كان قد خالف فيه  
هذا الحق .

اعتاد أحمد زكي مواصلة عمله العلمي والأدبي خلال ساعات طويلة ،  
لا يشعر بالكل أو الملل ، وكان لا يجد الراحة لنفسه - على حد قوله -  
« إلا بين الفئة القليلة من الأصدقاء والفئة الكثيرة من الكتب » .

لقد سقط أحمد زكي على درب الكفاح من أجل نشر المعرفة  
بعربية سليمة مشرقة ، والقلم بيده ما وني ساعة ، ولا ذل أمام ذي سلطان ،  
سقط شهيداً في مدينة القاهرة يوم الاثنين الثامن من شوال سنة ١٣٩٥  
للهجرة الموافق الثالث عشر من تشرين الأول سنة ١٩٧٥ للميلاد ، فبكته  
العربية وبكاه العالم العربي في مختلف أرجائه . رحمه الله رحمة واسعة ،  
وأجزل ثوابه ، وعوض العرب والعربية خير عوض .



## موجز عن سيرة الفقير

### ولادته وتحصيله العلم

ولد أحمد زكي بمدينة السويس حاضرة البحر الأحمر المصرية سنة ١٣١٢ للهجرة الموافقة سنة ١٨٩٤ للميلاد ، وانتسب في السادسة من عمره إلى مدرسة السويس الابتدائية ، ولكن لم يلبث فيها إلا قليلاً فقد انتقلت أسرته إلى القاهرة واستصحبته . فتابع تحصيله الابتدائي في مدرسة عباس ثم في مدرسة أم عباس الابتدائيتين ، ونال الشهادة الابتدائية سنة ١٩٠٧ ، ثم أنهى تحصيله الإعدادي بالمدرسة التوفيقية الثانوية ، والتحق بمدرسة المعلمين العليا ، حتى إذا تخرج من قسمها العلمي سنة ١٩١٤ عين مدرساً بالتعليم الثانوي .

كان أحمد زكي يتطلع إلى إتمام تحصيله العالي في أوروبا ، غير أن اشتعال نيران الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ ، حال بينه وبين ما يطمح إليه ، فقبل وظيفة مدرس بالمدرسة الإعدادية الثانوية ، ثم اختير سنة ١٩١٨ ناظراً لمدرسة النيل الثانوية . وخدمت نيران الحرب في السنة نفسها ، فأسرع أحمد زكي إلى الاستقالة من وظيفته تاركاً مصر إلى انكلترا سنة ١٩١٩ ، فلما كانت سنة ١٩٢٢ نال درجة « بكالوريوس في العلوم B. Sc. » من جامعة ليفرپول ، ثم انتسب إلى قسم الكيمياء فيها وحصل عام ١٩٢٤ على درجة ( دكتور في الفلسفة Ph. D. ) .

وانتقل أحمد زكي بعدئذٍ لمتابعة البحث العلمي إلى جامعة منشستر فمضى فيها عامين ، انتقل بعدها إلى جامعة لندن لينال منها درجة ( دكتور في العلوم D. Sc. ) وخلال هذه المدة قام بزيارة كل من النمسا وألمانيا للاطلاع على مناهج البحث العلمي فيها .

### عودته إلى مصر والمناصب العامية التي تولاها

بعد تلك الدرجات العامية العالية عاد أحمد زكي إلى مصر ليشغل منصب أستاذ مساعد في الكيمياء العضوية بكلية العلوم بجامعة فؤاد الأول ( جامعة القاهرة ) ثم أصبح أستاذاً للكيمياء فيها ، وانتخبه زملاؤه وكيلاً لكلية مرتين ، ثم انتخبوه عميداً لها مرتين ، ولكن السياسة الحزبية في مصر آنذاك حالت بينه وبين العادة للمرة الثانية ، فنقل عام ١٩٣٦ ليكون أول مصري يشغل منصب مدير « مصاححة الكيمياء المصرية » . أما زملاؤه في « الجمعية الكيميائية المصرية » فكرروا انتخابه رئيساً لهم عدداً من المرات بلغت سنواتها ربع قرن من الزمان .

ظل أحمد زكي مديراً لمصاححة الكيمياء إلى أن اختير سنة ١٩٤٦ مديراً لمجلس فؤاد الأول الأهلي للبحوث ( المركز القومي للبحوث ) ثم اختير عام ١٩٥٢ ، ومصر في أوج اضطرابها السياسي وزيراً للشؤون الاجتماعية ، ولكنه لم يلبث في الوزارة إلا قليلاً حتى استقال ليعود إلى مجلس البحوث ثم ليستقيل من هذا العمل أيضاً ، غير أن حكومة الثورة المصرية اختارته عام ١٩٥٣ ، مديراً لجامعة القاهرة ، فلما كانت سنة ١٩٥٤ ، كان أحمد زكي قد بلغ الستين من عمره ، فأحيل إلى التقاعد بحكم القانون، فعاد إلى مهوى فؤاده ، إلى مكتبته ، وعاد إلى أصدقائه - على حد تعبيره - إلى كتب العلم متفرغاً لها ما وسعه التفرغ .

### مؤلفاته ونتاجه العلمي والأدبي

كان أحمد زكي أحد أركان « لجنة التأليف والترجمة والنشر » في مصر، وقد شارك في ترجمة عدد من الكتب التي طبعتها . كما أسهم بأبحاثه العامية

والأدبية في أمهات المجلات المختصة ، شارك في تحرير « الرسالة » و « الثقافة » ،  
ورأس تحرير « الهلال » خلال عديد من السنوات .

نشر الفقيه عدداً من الكتب القيمة ، بعضها مترجم والآخر بما ألفه  
أو سبق له نشره في المجلات منجماً . وأهم المطبوع من كتبه العلمية هو :

- ١ - سَلْطَةُ علمية .
- ٢ - بين المسموع والمقروء .
- ٣ - مرجريت أو غادة الكاميليا .
- ٤ - قصة المكروب .
- ٥ - بواتق وأنابيق أو قصة الكيمياء .
- ٦ - جان دارك .
- ٧ - مواقف حاسمة في تاريخ العلم .
- ٨ - مع الله في السماء .
- ٩ - في سبيل موسوعة علمية .
- ١٠ - مع الله في الأرض . وهذا الكتاب آخر مؤلفاته رحمه الله ،  
بدأ بنشره فصولاً في مجلة « العربي » وانتقل إلى الرفيق الأعلى قبل إتمامه .  
كان الفقيه صاحب أسلوب مشرق متحرر ، وكان جريئاً في  
ابتداع الكلمات ومخالفة القديم ، لا يبالي بما نصت عليه الشروح أو يقول  
به المتزمتون ، وليس أشد تصويراً لمذهبه في الترجمة بما ذكره في مقدمته  
لكتاب ( جيمس ب . كونانت ) عن « العلم ورأي السواد من الناس » إذ قال :  
أما الترجمة فقد ذهبت فيها ، على الدقة الزائدة ، مذهب التحرر ،  
وجنحت فيها إلى النفع إذا هو عارض التقليد . وكان لا بد في كتاب يحكي عن



العلم كهذا من ابتداع كلمات ، فابتدعتها ، ووجدت من الفائدة أن أذكر إلى جانبها لفظها الانجليزي لفائدة من عرف وألف اللفظ الانجليزي .. » .

تمتاز الكتب التي ترجمها الفقيه بتعليقاته القيمة وملاحظاته الرائعة التي يذكرها في الهامش . وهي لا تقتصر في كثير منها على أمور فرعية بل تتعداها إلى مذهب المؤلف والترتيب الذي أخذ به . علق مثلاً على مؤلف ( كونانت ) فقال : « لقد وددت لو ترك المؤلف الأبواب الثلاثة الأولى فلم يتناولها إلا بعد أن يكون قد تناول سائر الأبواب . إنها أبواب ثلاثة ممتعة حقاً ، تتناول تقاليد البحث العلمي ، وتتناول العلم منشطاً في العالم منظماً . وتدخل في معنى الصور الذهنية والمشاريع التصويرية ، والفروض والنظريات ، وفي نظرية المعرفة ذاتها وهي مواضع خلت ، مصيباً أو مخطئاً ، أن القارئ قد يكون أقدر على استيعابها بعد قراءة سائر الكتاب » .

وللفقيه ذوق خاص مرهف في اختيار عناوين كتبه ومقالاته ، كتب في مقدمة « مواقف حاسمة في تاريخ العلم » يقول : « والمؤلف لم يسم كتابه « مواقف حاسمة في تاريخ العلم » ، وإنما هو سماه في طبعة « في سبيل العلم » . وسماه في طبعة أخرى : « العلم ورأي السواد من الناس » . ولكنه في نص الكتاب ذكر أنه إنما يصف من العلم مواقف حاسمة . ومن هذه اشتقت اسم الكتاب » .

### العالم المجعي

انتخب الدكتور أحمد زكي من قبل أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق زميلاً لهم بتاريخ الثالث من تشرين الثاني ( نوفمبر ) سنة ١٩٤٧ ، وقد صدر المرسوم الجمهوري القاضي باعتماد هذا الانتخاب بتاريخ العاشر من شباط ( فبراير ) سنة ١٩٤٨ .



وسبق الدكتور أحمد زكي أن انضم إلى مجمع اللغة العربية في القاهرة ، بموجب مرسوم ملكي صدر بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني ( نوفمبر ) سنة ١٩٤٦ م ، وقد استقبله المجمع في جلسة علنية عقدت بتاريخ الثاني عشر من كانون الأول ( ديسمبر ) سنة ١٩٤٦ برئاسة الأستاذ أحمد لطفي السيد ، وقام بالترحيب به الأستاذ أحمد أمين ، وقد وصفه بقوله :

« أحمد زكي كيميائي كبير ، وأديب كبير ، مزج بين العلم والأدب كما يمزج السكر بالماء . فأدب العلم وأعلم الأدب ، بينما تراه في معمله بين الأنابيب والمحاليل ، إذ تراه على مكتبه يحلل المعاجم ويفكر في وضع مصطلح ، أو يسلط خياله الأدبي على محصوله العلمي » .

عمل أحمد زكي في مجمع القاهرة بكل طاقاته المنوعة ، فاشترك في كثير من لجانه العلمية والإدارية ، كما مثله في عدد من المؤتمرات العربية والدولية ، ومن أبرز مشاركاته الجمعية صيحة مدوية تهب بالحكومة العزم على إلزام رجال الإعلام التقيد بقواعد العربية وأساليبها الصحيحة ، والحزم في الطلب إلى المذيعين الكف عن التكلم بغير الفصحى وبخاصة في نشرات الأخبار .

### رسالة العربي

بدأت « الكويت » الدولة العربية الفتية تفكر منذ تمتعت باستقلالها ، فيما يمكن أن تصنعه من أجل العرب كافة ، وكان مما فكرت فيه استخدام الكلمة الطيبة ، تحمل اسمها إلى أرجاء الوطن العربي فتقرب بها البعيد وتمتن معها الروابط فيما بين مختلف الأقطار . وقررت الكويت أن يكون وعاء كلمتها مجلة أدبية علمية مصورة تحمل الرسالة التي تنشدها هدية منها إلى كل عربي أنى وجد ، ولم تجد بين رجالات العرب أفضل من أحمد زكي عالماً أديباً واسع الثقافة ليقول تلك الكلمة ويحمل عبء الرسالة .

وكان شهر جمادى الأولى سنة ١٣٧٨ هـ الموافق شهر كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٥٨ هـ ، موعداً التقى به أحمد زكي مع قراء العربية على صفحات مجلة الكويت الشهرية ، مخاطباً إياهم بقوله : « .. وأسминаها العربي ، وما كان اسم بواف بتحقيق مايجول في رؤوس رجال الوطن العربي كله ورؤوس نسائه ، من معان ، وما تستدفيء به قلوبهم من آمال وأمانى ، كاسم « العربي » في حسمه وإيجازه » .

ثم أردف أحمد زكي يقول : « ثم تشاء الأقدار أن يكون منزل العربي بلداً من أصغر بلاد العرب حجماً ، وليس بأصغرهما خطراً ، فكان الكويت للعربي منزلاً ، وخير ما شاءت الأقدار » .

ولم يكن بد من أن يبدأ الرجل المهذب بتحية أهل المنزل ، فحياتهم ، ولكنه خاف سوء ظن البعض بمن لايجبون التملق يصدر عن عالم مثل أحمد زكي ، فسارع إلى الاعتذار عن التحية التي قدمها بخير ما يوصف به قلم عالم أديب ، وكأنه أحمد زكي كان يعاهد قراءه ، وهو يلتقي بهم في العدد الأول من مجلة يرجى لها أن تعيش لأجيال وأجيال ، بأن يبقى على ماعهدوه فيه ، فقال يصف تحيته لصاحب منزل العربي : « ... وليس أجدر من تحية صادقة يؤديها قلم لم يعرف عنه أنه قال باطلاً ، عن علم ، أبداً » .

وحدد أحمد زكي رسالة مجلة العربي بقوله :

« .. والعربي للفكرة العربية خالصة .

وهي لكل ما يتمخض عن الفكرة العربية من معان . فهي ضد الجهل ، ومع المعرفة ، في هذا الوطن العربي كله ، وهي ضد المرض ، ومع الصحة ، ومن الصحة صحة العقول .



وهي ضد الفقر ، ومع الغنى تطلبه للفقير ليستغني ، وتطلب له من أجل ذلك التعليم الطويل ، والتثقيف الواسع ، والتدريب الصادق ، ليعمل مخلصاً ، ويعيش من عمله عيشة راضية كريمة . وتطلب له مجالات العمل بعد ذلك ، بحسبان أن العمل حق من حقوق الإنسان على المجتمع الذي يعيش فيه ، وأن النمطل ، حتى على الثروة والاستغناء ، مناقضة صارخة لقانون الطبيعة ، قانون الحياة والأحياء ، وهو مزرٍ بكرامة الإنسان ، محطم لكبريائه .

وإذا كانت «عربي» أحمد زكي وعدت قراءها بأن تحافظ على رسالتها سليمة نظيفة لتبقى لكل العرب على اختلاف أقطارهم ، فلا تتورط في شؤون سياسية أو عقائدية ، فإنها لم تغفل وجهاً من وجوه الرسالة ، قد ينسبه الناس إلى السياسة ، مؤداه : « أنه لاحرية لفردٍ أو جماعة ، إلا إذا كان ملاك أمرهما بأيديها » .

وهكذا ظهرت على صفحات العربي مقالات مدوية ، كشف فيها أحمد زكي أساليب الاستعمار وعوامل الهزائم التي مني العرب بها ، وفضح أفانين الاستبداد ، مندداً ماوسعه بالمستبدين ، مدافعاً عن حريات المواطن لتغدو المواطن عزيزة عليه يفديها بماله وروحه ، عوضاً عن فقدانه الحجل من بيعها بلقمة عيشه ، أو هجرها بحثاً عن كرامته .

وفي أحمد زكي بما وعد ، واستمرت العربي على النهج الذي خطه لها في العدد الأول ، فشبت ثابتةً ، وانتشرت متجاوزةً ما قدر لها ، وامتدت بها السنون حتى ظهر عددها الرابع بعد المائتين ، في شوال سنة ١٣٩٥ هـ الموافق تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٧٥ م ، يحمل آخر مقال كتبه أحمد زكي تحت عنوان « قالوا : المصلحة أولاً ، وقالوا : أما العواطف من تراحم وود ، ومن صداقات وحب ، فأشياء عفى عليها الزمان ، وبئس ماقالوا !! » .

إنها مائتان وأربعة أعداد من مجلة العربي ما أظن واحداً منها ، على مدى سبعة عشر عاماً ، خلا من كلمة مستوحاة من واقع الوطن العربي خاطب بها أحمد زكي العرب على اختلاف مواطنهم بعنوان « عزيزي القارئ » ، أو خلا من بحث رائع أو حديث قيم أو موضوع خطر ، أو مقال علمي ممتع كتبه أحمد زكي بأسلوبه السهل المشرق ، وكثيراً ما اجتمع في عدد واحد كل هذا .

وعندما صدر العدد الخامس بعد المائتين من العربي بمد شهر من انتقال أحمد زكي إلى الرفيق الأعلى ، تضمن افتتاحية له لم تتم ، بدأ بكتابتها فوافاه الأجل والقلم بيده ، وكأني به رحمه الله لو أتمها لاختار لها من المناوين « قوة الطبع ومفاسد التطبيع : الشرطة والقضاء : وجهان للدولة المعاصرة ، إن فسد أحدهما فسدت الدولة » .

رحم الله أحمد زكيا وأسكنه فسيح جناته .

عدنان الخطيب